

اتفاقات البحر المتوسط

(فبراير - ديسمبر ١٨٨٧)

بقلم الدكتور حسن محمد صبحي

أستاذ التاريخ الحديث المساعد

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

يمتاز الربع الأخير من القرن التاسع عشر بمحاولة بريطانيا لإنهاء « عزلتها » وذلك حينما بدأوا في أنجلترا يشكون - في الثمانينات والتسعينات - في جدوى سياسة العزلة هذه فالتوسع الاستعماري في أفريقية وفي الشرق الأقصى قد أدى إلى نزاع مع فرنسا والمانيا والروسيا . وهذا أوضح لأنجلترا أنها لم تعد تتمتع بإحتكار في ميدان التوسع الاستعماري . والتعاون الفرنسي الألماني في عامي ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ قد ساعد هاتين الدولتين على إرساء قواعد لامبراطوريات أفريقية دون أن يسألا إنجلترا موافقة على ذلك . كذلك كانوا يخشون في إنجلترا أن يتوصل منافسوها إلى انتهاء خلافاتهم وتكوين تسكتل في القارة الأوربية . وإذا تمكن منافسوها من عزلتها فقد يتمكنون حينئذ من الضغط عليها في جنوب افريقية ومصر ومضايقتها هناك (١)

وفي غمار هذا الاتجاه الجديد لبريطانيا تجيء هذه الاتفاقات المعروفة باسم

Bruce, The Shaping of The Modern World (١)
1870-1939. Vol I. p. 886.

اتفاقات البحر المتوسط (١٨٨٧) . ولكن هذه الاتفاقات لم تكن وليدة الرغبة الإنجليزية الجديدة فقط ، بل جاءت أيضاً نتيجة لأحداث الفترة ، ومطامح إيطاليا في شمال افريقية ومخاوفها ازاء فرنسا في نفس الوقت ، ومخاوف النمسا من أن تتورط وحدها في حرب ضد فرنسا بسبب إيطاليا . وفوق كل شيء جاءت هذه الاتفاقات نتيجة أيضاً لمباركة بسمارك لسلك هذه الاتجاهات .

ففيما يتعلق ببريطانيا تجد أن أولى مشاكاها — بالنسبة للسياسة الخارجية كانت تسكن حينئذ في البحر المتوسط . هكذا كان الحال حينما تولى سولسبرى رئاسة الوزارة البريطانية في أغسطس ١٨٨٦ . في ذلك الوقت كانت تواجه بريطانيا مشكلتان رئيسيتان : الأزمة البلغارية ، والمسألة المصرية . وفيما يتعلق بالمشكلة الأولى قامت حركة في بلغاريا في سبتمبر ١٨٨٥ لضم شرق الرومللى إلى بلغاريا ، وبذلك فاجأت بلغاريا العالم بالأمر الواقع ، وضربت بقرارات برلين (١٨٧٨) عرض الحائط وبينت زيف الإدعاء بأنها مجرد تابعة للروسيا . ومن المعروف أن لورد بيكونزفيلد قد فرض فصل الولاياتين ، ضد رغبة روسيا عام ١٨٧٨ . ولكن روسيا صارت تعارض الآن الوحدة بنفس إصرارها السابق على نفس الوحدة ، فالحزب المسيطر في بلغاريا ذو ميول معارضة للاتجاه الروسى . وقد كان سولسبرى — أول الأمر — يميل إلى أن يلتزم بسياسة لورد بيكونزفيلد . ولكن الملكة فيكتوريا ، وسيرويليام هوايت السفير الإنجليزي في القسطنطينية — قد أقنعا بأن يتبع في هذه المسألة سياسة مغايرة لسياسة بيكونزفيلد . وفي تلك السياسة تبعت النمسا والمجر إنجلترا . وهكذا كان على بريطانيا أن تعمل على تمضيد استقلال بلغاريا أبعاد النفوذ الروسى عن القسطنطينية (١) .

وقد كان هناك البعض — مثل لورد راندولف تشرشل وسير روبرت موريه Robert Morier — سفير بريطانيا في بطرسبرج — ممن كانوا يرون أن تكف بريطانيا عن الوقوف في وجه روسيا وأن تصل إلى اتفاق مع القيصر الروسي، الذي سوف يقابل مجاملة بريطانيا له الشرق الأدنى بأن يكف عن تهديده لأواسط آسيا . ولكن سولسبرى كانت له وجهة نظر مغايرة . فهو إذا نظر قدماً إلى السلام اعتبر روسيا وفرنسا دولتين ذات ميول عدوانية (١) . ف منذ عام ١٨٧٩ تتبع فرنسا سياسة عنيفة في توسعاتها فيما وراء البحار . ومنذ عام ١٨٨٢ وهى تشهر السكان في كل مكان في وجه بريطانيا وتقيم العقبات القوية في وجه السياسة الاستعمارية الإنجليزية وفي سبيل ذلك تلجأ راضية إلى ألمانيا ، عدوتها التقليدية تثيرها ضد إنجلترا وترسم لها سوء نواياها (٢) . وإنجلترا كانت تخشى التوسع الفرنسى في شمال أفريقية ورجال بحريتها كانوا يخشون من اتخاذ فرنسا قاعدة بحرية في سبتة بالمغرب (٣) ولا شك أن السياسة الخارجية للدولة تتأثر عادة بآراء خبراءها العسكريين (٤) . وفي خلال أعوام ١٨٨٧ — ١٨٨٩ اتناقتها حمى الوطنية المزعجة التى أثارها الجنرال بولانجيه Boulanger وبشكل عام أصبحت للعلاقة بين فرنسا وإنجلترا كقال روزيرى (٥) في عام ١٨٨٦ تسبب كثيراً من المضايقه للانجليز . ففرنسا تطلب من إنجلترا شيئاً مالا تستطيع اعطائه لها أبداً ثم تشكو قائلة « أنكم لاتعملون شيئاً مطلقاً من

(١) Ensor, England 1870—1914. p. 195.

(٢) صفوت : الاحتلال الإنجليزي لمصر . ص ٧٦/٧٧

(٣) Marder, A., British Naval Policy, p. 271.

(٤) أنظر أيضاً : حسن صبحى ، التنافس الاستعماري الأوربي في المغرب ص ٦٧ ، ص ٧٧ .

(٥) وزير خارجية إنجلترا (١٨٨٦) .

أجلنا (١) » . وبالنسبة لسولسبرى فإن فرنسا — كما يقول سولسبرى في فبراير ١٨٨٧ — ترتكب طائفة من المزعجات . ففي مراکش مثلاً « تسير فرنسا في طريق ابتلاع البلاد قطعة قطعة وتطلع إلى احتلال طنجة (٢) » ويبلغ الضيق لسولسبرى أشده حتى يذكر أنه من الصعب على المرء أن يمنع نفسه من يتهنى حرباً حرباً فرنسية المانية أخرى لتضع حداً لهذا الجور المستمر (٣) .

أما أطاع روسيا فقد ظهرت في طبعة Perdjeه في أواخر عام ١٨٨٥ حينما هاجمت قوة روسية أخرى أفغانية وهزمتها هناك في ٣٠ مارس ١٨٨٥ ، وهذه منطقة خصبة على الحدود الأفغانية — التركمانية . وكان ذلك الحدث منها قوياً للخطر الذى يهدد إنجلترا فى الهند من الناحية الشمالية الغربية . حينئذ بدت الدولتان — لبضعة أسابيع — على شفا الحرب . كذلك فى أواخر العام تظهر أيضاً أطاع روسيا القلقة حينما هددت صوفيا .

هذه كانت من الدواعى التى أدت بالبريطانيين إلى الاتجاه إلى دول الحلف الثلاثى، ولا سيما وأن إنجلترا قد باتت مهددة بأن تقف وحدها فى المسألة المصرية وهذه — أى المسألة المصرية — كانت المشكلة الثانية التى تجابه بريطانيا حينئذ فى البحر المتوسط ، فكان على بريطانيا أن تجابه مشكلة مباشرتها للأمور المصرية مع التخلص من العداء الفرنسى لها هناك ، وتجنب — فى نفس الوقت — اتجاهات بسمرك

(١) روزبرى إلى السفير الإنجليزى فى باريس — ١٠ أغسطس ١٨٨٦ — أنظر .

Wilson, Beckles, L' Ambassade D'Angleterre A Paris, p. 229.

(٢) سولسبرى إلى ليونز (السفير الإنجليزى فى باريس) ٥ فبراير ١٨٨٧ . المرجع

السابق ص ٢٢٧ .

(٣) صبحى ص ٦٨ .

التي تميل إلى مناقشة حق الانجليز في مصر إذا ما ناقشوا حق المانيا في الاستعمار (١).

ومن المعروف أن سولسبرى كان له رأيه الخاص في الدولة العثمانية ومصيرها . فهو كان يبدو عديم الثقة بها ، ميالا إلى تقسيمها ولا يرى هناك داعيا لبقائها . وهو لذلك يهتم بالمحافظة على المصالح الانجليزية لا بحماية تركيا من الخطر الروسي (٢) وقد وضع اتجاه سولسبرى هذا تماما حينما زاد تعمق المسألة الشرقية في السبعينيات وحينما خلف سولسبرى داربي في وزارة الخارجية البريطانية (مارس ١٨٧٨) فحينئذ بدا أن سياسة سولسبرى بخصوص الدولة العثمانية كانت أبعد ما تكون عن تأييد تلك الدولة أو المحافظة عليها . وكان ذلك انعكاساً لشكك فيما إذا كانت تركيا حقيقة جديرة بالدعم من جانب بريطانيا (٣) . صحيح أنه لم يفقد حينئذ الأمل نهائياً في إصلاح الأحوال في تركيا ، ولكنه كان يرى أن الامبراطورية العثمانية قد دب فيها الفساد والعفن إلى حد كبير ، وأنها تسير حتماً إلى النهاية . وكان يعتقد بجدوى تأجيل سقوط الامبراطورية العثمانية — بالنسبة لانجلترا — حتى قيام الثورة في روسيا وأنه من مصلحة انجلترا تأجيل حدوث هذه الكارثة (٤) . أما السياسة العملية في نظره فهي الاشراف الفعلي على فرق المواصلات المائية إلى الهند ، وذلك باحتلال مصر وقناة السويس وكريت والعمل على القضاء على الدولة العثمانية (٥) .

واستولت بريطانيا على قبرص (١٨٧٨) ، ومصر (١٨٨٢) ، واطمأنت على مركزها في شرق البحر المتوسط . وعلى طرق مواصلاتها البحرية إلى الهند . ومع

(١) Ensor, England. p. 197.

انظر كذلك : صفوت / الاحتلال الإنجليزي لمصر . ص ١٤٢ .

(٢) صفوت : نفس المرجع . ص ١٢٨ — ١٢٩ .

(٣) Marder, A?, British Naval Policy, p. 271.

(٤) يظهر ذلك في خطاب خاص له للملح Layard المغير البريطاني في القسطنطينية أنظر : .

Medlicott, The Congress of Berlin and After, p. 345.

(٥) صفوت : إنجلترا وقناة السويس . ص ٦٦ .

ذلك فقد بقيت العقبة الفرنسية في مصر من ناحية كما استمر الإزعاج الروسى أو النموى للبلقان من ناحية أخرى .

حينئذ رأى سولسبرى — وفيما يتعلق بالبحر المتوسط ، وكما قال هو نفسه في عام ١٨٨٧ — أنه لا خير لانجلترا في أى تغيير ، وأن من مصلحة انجلترا ألا يحدث من التغيير إلا أقله (١) . ورأى سولسبرى أن تتبع حكومته — في الأمور الداخلية كما في الخارجية السياسة التقليدية ، ودبلوماسية الصبر وإناة بالنسبة لكل المشكلتين . في مصر والبلقان (٢) . ففي خريف عام ١٨٨٦ كان سولسبرى يريد مصلحة فرنسا بكلمات معسولة وإشارات إلى الانسحاب من مصر ، بينما يجدد المباحثات من الباب العالى ، وكانت قد قطعت عام ١٨٨٥ . « يتضح ذلك تماماً في مقابلة طويلة بين سولسبرى ووادنجتون — السفير الفرنسى في لندن — خصصت كلها لبحث المسألة المصرية . وفيها يتحدث سولسبرى حديثاً ودياً ولكن يشوبه الغموض ، كما يقول وادنجتون ، ويذكر — أى سولسبرى — أن — انجلترا وفرنسا سوف يصلان إلى اتفاق بشأن المشكلة المصرية ، وأنه يمكنهما أن يتفقا حول ذلك الموضوع .

«... Neamoirs Je suis persurdé que Nous arriverons à une entente ... La France et l'Angleterre auront pu Se mettre d'accord.(٣)

ومن العسير تفسير ذلك على أنه مقدمة لهذه الصفقة الإنجليزية — الفرنسية التى عقدت في أبريل عام ١٩٠٤ (الوفاق الودى) — وذلك لجملة اعتبارات لا تخفى

(١) Lowe, p. 1.

(٢) Ibid. p. 5.

(٣) من حديث سولسبرى إلى وادنجتون : انظر

Doc. Dip. Fr., Lére S., T. VI, No. 342.

Waddington à Freycinet, 3 Nov. 1836, Taes Confidential.

على كل دارس للعلاقات بين إنجلترا وألمانيا وفرنسا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين . إنما بكل تأكيد يمكن اعتبار ذلك الحديث متفقاً مع رغبة سولسبرى في مصلحة فرنسا بمجرد كلمات طيبة دون أدنى التزام من جانبها . فحينما يخبره وادنجتون بأنه لا يوجد أحد في فرنسا يصدق أن الحكومة الإنجليزية مخلصه حينما تؤكد رغبتها في الإعداد للجلاء عن مصر يكتفى سولسبرى بأن يصيح « إنكم تخطئون جداً » (١) ويؤكد أن إنجلترا إنما تسعى إلى الوسائل التي تخرج بها بشرف من مصر ، وأن القوات الإنجليزية في مصر سوف تكون أكثر فعلاً في الهند ، وأن إنجلترا مصممة على الجلاء عن مصر .

ويتبادى سولسبرى في تصوير مسألة الجلاء كأمر جدي تفكر فيه بريطانيا فيقول « إننا حينما نعلم ميعاد الجلائنا فلسوف نطلب حينئذ من أوروبا تحديد فترة يكون لنا الحق إبانها في الرجوع إلى مصر في ظروف محددة إذا نشأت في مصر حالة جديدة وخطيرة من القوضى » وحينما يسأله وادنجتون « وهل فاتحت الآخرين — أي الدول الأخرى تلك الفكرة ؟ يجيب سولسبرى : « لا إنك أول شخص أتحدث معه في هذا الموضوع ثم يشير سولسبرى إلى المصاعب البرلمانية التي توجد في إنجلترا ، وكيف أنهم في إنجلترا — كما في فرنسا — يشورون بسهولة عند إثارة القضية المصرية (٢) .

وبهذه الطريقة كان سولسبرى يظن أنه من الممكن مصلحة فرنسا في مصر . وكان ذلك بالنسبة له يبدو أمراً معقولاً إذا كان عليه أن يقف في وجه روسيا في نفس الوقت في البلقان . وهو يقترح — وسيلة لذلك — التعاون مع النمسا في

On se trompe grandement chez vous, Lorsqu' (١)
on croit que nous

Lbid.

(٢)

سياسة ترمي إلى تعضيد الأمير اسكندر في بلغاريا . ولكن الوزارة رفضت كلى الاقتراحين ، وكان تشرشل Randolph Churchill وزير المالية وزعيم مجلس العموم — يعارض سياسة سولسبرى (١) . كذلك حدث ما جعل سياسة سولسبرى — فيما يتعلق بالتعاون مع النمسا لصد روسيا في البلقان — لا تلقى نجاحاً يذكر فبسمرك كان غاية في الصراحة فيما يتعلق بذلك الأمر ، وبين بوضوح أنه لن يحرك أصبعاً من أجل الأمير اسكندر في بلغاريا ، وأن بلغاريا وحتى القسطنطينية منطقة مصالح روسية لن يتدخل فيها أو يسمح للنمسا بالتدخل . واقترح بسمرك على بريطانيا — متهماً — أن تستأجر تركيا إذا أرادت أن تعارض روسيا في البلقان (٢) .

Mit Geld laest sich in der Tuerkei alles machen والنمسا من ناحية أخرى لم تبد تجاوباً مما جعل ادسلى Iddesleigh — وزير الخارجية الإنجليزية — لا يتأمل الكثير منها في تلك المسألة . فالروسيا كانت قد أكدت للنمسا أنها لن تنزوي بلغاريا (٣) .

ولكن بحجى يناير عام ١٨٨٧ كان يبدو أن سولسبرى قد تخلص من بعض العقبات . فهو تخلص مثلاً من تشرشل في ديسمبر من العام السابق ، وبسمرك — وقد شغل بأمر مباحثاته مع النمسا وإيطاليا بشأن تجديد الحلف الثلاثى — بدأ أكثر استعداداً للتعاون مع إنجلترا . وكانت النتيجة أن سولسبرى صار في ذلك الوقت قادراً على اتباع سياسة يختارها هو ، وكان يرمى إلى عقد اتفاقية مع إيطاليا والنمسا لحماية الحالة الراهنة في شرق المتوسط . وإجراء مباحثات بشأن تحديد أجل الاحتلال الإنجليزي لمصر وبذلك يصلح فرنسا ويرضيها . وكان ذلك يعنى الرجوع إلى سياسة القرم (٤)

-
- (١) Lowe, p. 5.
 (٢) بالمال يفعل المرء أى شئ في تركيا . انظر : Lowe p. 7.
 (٣) نفس المرجع والصفحة .
 (٤) Lowe, p. 8.

الأمر الذي كان تشرشل يعارضه بشدة . ولكن ذلك لم يكن يعنى أن سولسبرى كان يرى جدوى فى الجلاء عن مصر أو يفكر فى ذلك حقيقة .

نلاحظ أن بسمرك أيضاً كان يعمل على ارجاع « تكتل القرم » بطريقته الخاصة ووضح ذلك فى مذكرة له فى نوفمبر ١٨٨٦ (١) . ولكن بينما كان سولسبرى يعمل على مصالحة فرنسا وإيهامها بجدية التفكير الانجليزى فى الجلاء عن مصر ، كان بسمرك يعمل على التوسط بين إنجلترا وفرنسا لمصالحتهما . وكان بسمرك يسعى إلى ذلك تقرباً من فرنسا التى اخذت تتأكد من نوايا بسمرك السليمة ، بل وفكرت فى تجديد وفاق فرى مع ألمانيا إذا ما ساعد بسمرك فرنسا ضد إنجلترا فى مصر . ولما كان بسمرك لا يستطيع أن يفقد إنجلترا من أجل فرنسا ، فقد عرض الوساطة بين الدولتين . وبهذا — كما يرى بسمرك — يتسكون تكتل شبيه بتكتل القرم يعمل على تخفيف التوتر للموقف فى البلقان ويرغم الروسية على احترام الاتفاقات (٢) . ولكن إنجلترا لم ترحب وقتئذ بذلك الامر . فمصر وموقف فرنسا فى البحر المتوسط بشكل عام بالاضافة الى رغبة بريطانيا فى عدم تدخل دولة ثالثة فى أمر مصالحها مع فرنسا فى مصر (٣) كل ذلك جعل ارجاع تكتل القرم كما يراه بسمرك أمراً عسيراً .

كانت هناك عقبات أذن نحول دون سولسبرى وتنفيذ سياسته « ولكن بمجىء يناير عام ١٨٨٧ كان يبدو أنه تخلص من كثير منها . فبسمرك مثلاً — وقد شغل بأمر محادثاته مع النمسا وإيطاليا بشأن تجديد الحلف الثلاثى — بدأ أكثر استعداداً للتعاون مع إنجلترا لفترة السنوات الخمس للحلف الثلاثى كانت قد قاربت على الانتهاء

Taylor, The Struggle For Mastery in Europe (١)
1843—1919. p 305

(٢) نفس المذكرة بالمرجع السابق .

(٣) كانت إنجلترا تعلم جيداً أن فرنسا صوف تقف وحدها إذا ما قام نزاع بينها وبين

إنجلترا بشأن مصر . انظر : نفس المرجع .

فكان لابد من تجديد ولكن كانت هناك مصاعب معينة تعترض اتسام ذلك —
فالنمسا كانت راغبة عن الارتباط كثيرا بإيطاليا نظرا للتنافس الإيطالي الفرنسي في البحر
المتوسط ، بينما إيطاليا كانت تخشى مغبة أطماع النمسا في البلقان وتوريط نفسها من
أجل ذلك في حرب مع روسيا . ولكن لما كان بسمرك حريصا على تجديد الحلف ،
فقد وجد طريقا الى ذلك التعاون مع إنجلترا التي كانت على استعداد لذلك نظرا
لمصاعبها مع روسيا وفرنسا . (١) وكانت النتيجة أن سو لسبرى صار في ذلك الوقت
قادرا على اتباع سياسة يختارها هو وتهدف كما ذكرنا الى الاتفاق مع إيطاليا والنمسا
ومصالحة فرنسا وإرضائها عن طريق عقد اتفاقية مع إيطاليا والنمسا وإجراء مباحثات
بشأن تحديد أجل للاحتلال الإنجليزي لمصر .

والتغيير المفاجيء في سياسة بسمرك ، وهو التغيير الذي أدى الى عقد اتفاقيات
البحر المتوسط في فبراير ومارس ١٨٨٧ وإلى زيادة التعاون بين إنجلترا والتحالف
الثلاثي، يراه Lowe يرجع بالدرجة الأولى الى الضغط الإيطالي (٢) بينما يراه Taylor
يرجع الى موقف فرنسا الذي أملى على أوروبا دبلوماسية سنة ١٨٨٧ (٣) .

فبسمرك — كما يرى تيلور — كان يرجو أن ترتفع فرنسا في أحضان روسيا ،
بعد هذه العزلة لفرنسا في القارة ، وهذا بالتالي يدفع إنجلترا إلى الانضمام الى جانب
النمسا والمجر في المسألة البلغارية . ولكن فرنسا فوتت على بسمرك هذا الهدف بأن
قررت أن تتخذ حذو ألمانيا في الازمة . هكذا تحرك بسمرك في عام ١٨٨٧ يتعاون
مع إنجلترا (٤) . أما Lowe فينظر الى الاراء القائلة بأن اتفاقات البحر المتوسط

Bruce, p. 196.

(١)

Lowe, p. 8.

(٢)

Taylor, p. 310.

(٣)

Ibid.

(٤)

هي فروع التحالف الثلاثي على أنها مبالغة ، ويرجع هذه الاراء إلى نفوذ الوثائق الألمانية على التاريخ الدبلوماسي لتلك الفترة .

ومن المؤكد أنه كانت هناك عوامل خاصة بإيطاليا ، وأخرى بانجلترا قد انتجت هذه الاتفاقيات ، وكان لكل من سولسبري ، وكروسي وجهة نظر دفعته إلى قبول المفاوضات من أجل هذه الاتفاقيات . وفيما يتعلق بإيطاليا فإن من أهم دوافعها للتفاوض مع بريطانيا بهـذا الخصوص كانت أطماعها الاستعمارية والتي كانت تتلخص في كلمة واحدة : طرابلس .

ومن ناحية ثانية هناك مخاوف الإيطاليين إزاء فرنسا . فالإيطاليون يرفضون بشدة وصاية الفرنسيين عليهم أو رعايتهم لها منذ أيام نابليون الثالث . وهم أيضاً يخافون من امتلاك الفرنسيين لخوض البحر المتوسط ومن تأمرهم ضدّهم . لذلك يصمم الإيطاليون على زيادة قوتهم تقادياً لأذلال آخر قد يحيق بهم . كل ذلك — بجانب المشكلة الإيطالية الأصلية والمستمرة مشكلة «الاريدنتا» Qnti-Austian irridentism قد أعطى اتجاهها جديداً للسياسة الإيطالية الخارجية . وعمجي عام ١٨٨٤ رأينا دبلوماسيين إيطاليين مثل روبلان Robilant (١) يترعجون خشية توسع فرنسي جديد دون معوق ويصممون على الوقوف في وجه المنافسة الفرنسية وهؤلاء كانوا يخشون أيضاً أن يؤدي إستيلاء فرنسا على المغرب وطرابلس إلى انعقاد شعبي في إيطاليا يطيح بالملكية ويخشون ما قد يترتب على ذلك من عواقب بالنسبة لإيطاليا . . . (٢) .

(١) وزير الخارجية الإيطالية ١٨٨٥ — ١٨٨٧ .

Ibid.

(٢)

ذلك دعا إلى زياده اهتمام إيطاليا بطرابلس عام ١٨٨٤ . ولكن إيطاليا لم
تشأ أن تسير في ركاب ألمانيا وفرنسا (فرنسا) ضد إنجلترا سعياً وراء الغنيمة .
وعلى ذلك يرفض مانثيفي (١) مقاربات فرنسا بشأن وفاق استعماري فرنسي -
إيطالي ، ويبدو ميالا إلى التعاون مع إنجلترا بخصوص مصر والسويس ، أملا منه
في أن يؤدي ذلك إلى تساهم إيطاليا - انجليزى قوى يعمل على حماية المصالح
الإيطالية في البحر المتوسط (٢) فهم في إيطاليا كانوا يعتقدون أن إنجلترا هي أخلص
صديق لهم في أوروبا . وهذه النظرة الإيطالية إلى إنجلترا نجدها واضحة تماما في
اتفاقها مع ألمانيا سنة ١٨٨٢ ، كما تنضج أكثر بالنسبة لتجديدات التحالف الثلاثي
فيما بعد .

وفي سنة ١٨٨٦ كان الموقف - بالنسبة لإيطاليا - كما كان عام ١٨٨٤ مع
فارق هو تصدع وفاق بسمرك الاستعماري مع فرنسا إلى حد الانهيار . والموقف
في البلقان قد أوحى إلى روبيلان Robilant بأنه من الممكن الحصول من ألمانيا
على بعض الضمان لصالح إيطاليا في البحر المتوسط وتنمية التعاون مع إنجلترا في
نفس الوقت (٣) .

وكان روبيلان واثقا من نفسه فهو يصر على تعضيد ألمانيا لإيطاليا في طرابلس
تمنا لتجديد الحلف الثلاثي . ولم يكن بهم روبيلان أن يعنى ذلك تعارنا مع إنجلترا
وفرنسا ، فعلى بسمرك تحديد ذلك . وفي أكتوبر (١٨٨٦) جاء رد بسمرك كإرسال
به لوناى Launay السفير الإيطالي في برلين - إلى روبيلان وفيه يقول أن
بسمرك

(١) وزير خارجية إيطاليا (١٨٨١ - ١٨٨٧) .

Lowe, pp, 9-10.

(٢)

p6-01Lowe, p. 11

(٣)

« n' hésite Pas à formuler son opinion dans ce sens qu' il serait tout contraire tout à l'interêt de l'Allemagne au' à celui de l'Italie d'entrer dans les vues de la France. »

وكان ذلك يعنى أن على إيطاليا أن تنسحب إلى إنجلترا .

وبإتضاح موقف بسمرك إزاء ما يبينى أن تكون عليه العلاقات الإيطالية — الفرنسية يسمى روييلان لعقد تحالف مع إنجلترا ويستدعى Lumley السفير البريطانى فى روما — يوم ٢٢ أكتوبر (١٨٨٦) ويخبره أنه على استعداد لمبحث مسألة المصرية كما يظهر روييلان ذلك على الملأ فى خطبه عامة له فى نوفمبر ١٨٨٦ (١)

ولكن لم يكن لهذا أثر يذكر فلا إنجليز كانوا يريدون تعضيداً فى بلغاريا الأمر الذى كان روييلان راغباً عنه ، والإيطاليون يعرضون تأييدهم للإنجليز فى مصر وهو أمر كان الإنجليز يشكون كثيراً فى قيمته (٢)

فشل روييلان إذن فى دفع بريطانيا إلى اتخاذ الخطوة الأولى نحو عقد تحالف إيطالى — إنجليزى فقام هو بتلك الخطوة وقابل كسورتي Cetti السفير الإيطالى فى لندن سولسبرى فى ١٧، ٧ يناير ١٨٨٧ ، وأشار إلى أن الوقت قد حان لتفاهم إنجليزى — إيطالى (٣) ، وفى هذه المقابلة الأخيرة يقول سولسبرى للسفير الإيطالى أنه يود أن يجعل العلاقات مع إيطاليا أكثر قوطداً وأكثر نفعا . (٤)

Lowe, p. 12.

Ibid.

Ibid. p. 13.

Taylor,

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

واقترحات كورتى كانت غامضة الى حد ما (يناير ١٨٨٧) . ولكن مهما يكن فهم سولسبرى للمروض الايطالية، سواء كانت توحى بتضييد إيطالى فى بلناويا بالذات أو شرقى المتوسط عامة ، فإن سولسبرى — كما كتب إلى سفيره فى القسطنطينية Morier فى ١٩ يناير ١٨٨٧ — كان يعتقد بأن استخدام إيطاليا فى الدفاع عن الحالة الراهنة فى الشرق إنما هو أمر واقع (١) .

ولكن اقترحات روييلان التى جاءت بالتفصيل فيما بعد (١ فبراير ١٨٨٧) . كانت على عكس ما توقع الانجليز . فهى وإن كانت تتكلم عن أثرها فى القضاء على الخطر الروسى إلا أنه يبدو أنها كانت ترى إلى تحالف فى حالة الحرب ضد فرنسا (٢) وكان ذلك أكثر مما كان يرى إليه سولسبرى (٣) . فالإيطاليون كانوا يرغبون فى عقد إتفاقية محددة واضحة لمراعاة الحالة الراهنة فى البحر المتوسط . وقد اقترحوا لذلك مراعاة الحالة الراهنة فى البحر المتوسط والإدرياتي والإيجي والبحر الأسود ومقاومة كل ضم أو حماية أو احتلال فى هذه الجهات وعدم أحداث تغيير فى هذه المناطق مهما كان دون موافقة مسبقه من إنجلترا وإيطاليا، والتأييد الإيطالى لانجلترا فى مصر مقابل التأييد البريطانى لإيطاليا فى شمال أفريقيا ولا سيما فى برقة وطرابلس وذلك ضد أى غزو تقوم به دولة ثالثة ، وأخيراً تضييدا عاما متبادلا فى البحر المتوسط . ولكن يلاحظ أن كل هذه المقترحات كانت تعنى أكثر من حافض فرنسا أو ضد النمسا والمجر فيما يتعلق بالإدرياتي (٤) .

Taylor, p. 310

Lowe, p. 14.

Ibid.

Taylor, p. 311.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

ولكن يبدو أن الإيطاليين — بهذا العرض — كانوا قد أساءوا فهم البريطانيين
 حالبريطانيون، رغم أنهم كانوا مستعدين لإعطاء إيطاليا نوعاً من التمسيد في طرابلس
 كما أعطاهم الإيطاليون في مصر، لم يكونوا على استعداد للأرتباط معهم بخلف من هذا
 النوع . فقد يلجأ مثلاً خليفة روييلان إلى شن حرب ضد فرنسا لاسترجاع نيس
 وسافوى وعلى أى حال، فأنجلترا لم يكن لديها ما يمنع من إيجاد تفاهم مع إيطاليا —
 في حالة زوال إحتمال عمل إيطاليا على استرجاع نيس وسافوى... فطرابلس نفسها،
 في هذه المرحلة، لم تكن تكون عقبة في سبيل مثل هذا التفاهم. وقد أكد سولسبرى
 لمكورتى أنه في الوقت الملائم فإن إيطاليا هي التي سوف تحتل طرابلس وليست فرنسا
 وكانت إنجلترا تعلم أن طرابلس لا تثير مشكلة تذكر مع فرنسا (١).

وكان على كورتى أن يؤكد لسولسبرى أن إيطاليا ليست لديها أى نية لمهاجمة فرنسا
 ولكن إيطاليا — ببساطة — تريد ألا تتكرر مسألة تونس بصورة أخرى. وقد
 أكد روييلان ذلك في ٧ فبراير ١٨٨٧ (٢).

وإذا كانت إيطاليا حقيقة ليست لديها النية لمهاجمة فرنسا فإن اتفاقاً مع إيطاليا
 يربط إنجلترا بدول الوسط يبدو لأنجلترا إذا ميزات متعددة بالنسبة لها ولكن الأمر
 الذي كان يخيف سولسبرى حينئذ كان هذا الذي يقوله بسمرك في الرايشتاج
 Reichstager وما كان يعنيه عن قرب حدوث حرب فرنسية — ألمانية .

وفي الواقع كانت الصحافة الألمانية والرأى العام الألماني حينئذ يتكلم عن استعدادات
 فرنسية على الحدود وعن النزعة الحربية للجنرال بولانيجه Boulanger وزير

Ibid. (١)

Ibid. p. 15. (٢)

الحرب الفرنسي (١) . ورغم أن Hatzfeldt السفير الألماني في لندن — قد أبلغ
سواسبرى في ٢٤ يناير ١٨٨٧ أن ألمانيا سوف تهاجم فرنسا في الحال إذا استمرت
امتدادات بولانجيه الحربية (٢) إلا أن كلى المستشار والقيصر في ألمانيا لا يفتا يؤكده
نزعة ألمانيا السلمية إزاء فرنسا (٣) ذلك يرجح الرأى القائل بأن الخطر الفرنسي على
ألمانيا حينئذ إنما هو خطر وهمى كان يحلو لبسمر ك أن يخلقه .

وبسمر ك من ناحية أخرى — كان يتعجل حدوث اتفاق إيطالى — انجلىزى ،
وذلك قبل أن يضع Kainoky المقبات فى اللحظة الأخيرة ونرى بسمر ك
فى هذه المباحثات الانجلىزية — الإيطالية مهما بالشرق وليس بالغرب . فهو باهتمامه
كثيراً بالارتباط — مع انجلىزى فى الشرق إنما يضمن أن إيطاليا سوف تسكوز عند
التزاماتها — الأمر الذى كانت فيينا تشك فيه . ذلك يفسره ما أبانه بسمر ك
إلى MaIat — السفير البريطانى فى برلين — فى يوم ١ فبراير ١٨٨٧ بأنه ليست
هناك حاجة إلى أى اتفاق موجهة ضد فرنسا ، بل إن كل المطلوب هو تفاهم بخصوص
الشرق .

فى نفس الوقت يقنع الانجلىز Hatzfeldt — السفير الألماني فى لندن بإعطاء
ضمان لتأييد ألمانيا فى مصر (٤) .

(١) أنظر Herbette (برلين) إلى Flourins ٢٣ يناير ١٨٨٧ — الوثائق
الفرنسية .

(٢) المجموعة الأولى — جزء ٦ رقم ٤٠٤ .

Lowe, p. 15.

(٣)

(٤) أنظر Flourina إلى Laboulaye (سان بيترسبورج) — ٣ فبراير ١٨٨٧ —
الوثائق الفرنسية — المجموعة الأولى — جزء ٦ رقم ٤٢٢ .

على أية حال ، نجد أنه بمجيء أو فبراير ١٨٨٧ اتضح أنه كان هناك قدر كبير من التناغم بين سولسبرى وروبيلان . واطمان الانجليز إلى نزعة إيطاليا ، فقد أوضح Robilant أن كل ما يطلبه هو التأكد من عدم وجود احتمال اتفاق أوروبي قد يعطى طرابلس إلى فرنسا ، فهذا من شأنه أن يحدث زوبعة في إيطاليا قد تؤدي إلى الحرب (١) .

وهكذا نجد أن الوزارة البريطانية مطمئن ، وتسمح لسولسبرى بأن يجيب روبيلان بالموافقة (٢ فبراير ١٨٨٧) ولا سيما وأن تشرشل كان - كما ذكرنا - قد خرج من الوزارة ولم يعد سولسبرى يجد مراضة لآرائه .

واستقالت الوزارة الإيطالية التي كان روبيلان وزيرا للخارجية بها (٥ فبراير ١٨٨٧) جعل سولسبرى يسرع بمقد الاتفاق المنشود ، وذلك قبل أن تقف أوضاع إيطاليا الداخلية في سبيل خطته (٢) .

وأخيرا تمكن كل من بريطانيا وإيطاليا من الوصول إلى اتفاقية سرية (١٢ فبراير ١٨٨٧) وهي الاتفاقية الأولى من سلسلة الاتفاقات التي عقدتها بريطانيا مع الدول وسميت باسم اتفاقات البحر المتوسط . Mediterranean Agreements

وهذه اتفاقية من أجل حفظ الحالة الراهنة في البحر المتوسط والبحر الإديرياتي والبحر الإيحي والبحر الأسود . وفيها تتعهد إيطاليا بتعزيز المصالح البريطانية في مصر ، كما تتعهد بريطانيا بحماية السواحل الإيطالية من الأسطول الفرنسي (٣) .

Ioqe, pp. 15—16.

(١)

Ibid. p.16.

(٢)

Libd.

(٣)

وقد جاءت هذه الاتفاقية - كما أرادها سولسبرى - تخدم الظروف الحاضرة ولا ترتبط بها بريطانيا ارتباطا محددًا ولا تمنح الإيطاليين سوى موافقة عامة لفكرة التعاون . وقد أضاف سولسبرى إلى الاتفاقية جملة غامضة حول مضمون هذا التعاون تقول :

« ... the character of that co-operation must be decided by them when the occasion for it arises, according to the circumstances of the case, »

وكان سولسبرى يعنى بكلمة *by them* الانجليز ، بينما كان الإيطاليون يفهمونها على أنها تعنى كلا من الحكومتين البريطانية والإيطالية (١)

وقد لجأ سولسبرى إلى جعل الاتفاق على شكل خطابات متبادلة وليس بصورة معاهدة . وهى طريقة يستطيع بها أن ينفى للبرلمان أنه قد فعل أى شئ . وفى نفس الوقت فهو يحجز رويلان أن تفاهما بين بريطانيا وإيطاليا على ذلك النحو سوف يكون له نفس تأثير « الاتفاقية » . وطى أى حال فى نظر سولسبرى فإن اتفاقية مع إيطاليا على اتجاهها سياسيا سليماً بالنسبة للصداقة التقايدية بين الإيطاليين والبريطانيون . (٢)

وبالنسبة لإيطاليا نجد أن الحلف الجديد مع انجلترا يخدمها سواء بالنسبة لمركزها فى المتوسط وأطماعها هناك أو بالنسبة لعلاقتها بالحلف الثلاثى . . . فهذا الحلف قد قوى من مركز إيطاليا كثيراً ، كما اعترف - لأول مرة - بأطماعها فى المتوسط

Taylor, p. 311.

(١)

Lowe, p, 196.

(٢)

فالمادة الثالثة من اتفاقها مع إنجلترا تنص على أنه بينما على إيطاليا أن تعضد بريطانيا في مصرفان على بريطانيا بالثاني — في حالة اغتصاب أراضي دولة ثالثة: (طبعا بالبحر المتوسط، والقصود هنا فرنسا والمغرب) — أن تعضد عمل إيطاليا في أى جهة أخرى على سواحل افريقية الشمالية ولا سيما في برقة وطرابلس. (١) وهكذا كان الطريق في الواقع قد تمهد للحرب الطرابلسية سنة ١٩١١، بعد أن حددت هذه الاتفاقية الأهداف الإيطالية واعترفت بأمال إيطاليا في شمال افريقية.

ويمقد إيطاليا لاتفاقها مع إنجلترا تتحرر النمسا من مخاوف انزلاقها وحدها إلى حرب ضد فرنسا بسبب إيطاليا، ويتجدد الحلف الثلاثي (٢٠ فبراير ١٨٨٢) بثلاثين سنة من عهد اتفاق البحر المتوسط همدا. وبعد مصاعب تخطاها، بسمرك مستخدما نهجاً مرموقة في ذلك السيل. بسمرك يحدد التحالف الثلاثي بدون تغيير لارضاء كاللوكي كما فمقد اتفاقيات منفصلة بين إيطاليا كل من ألمانيا والنمسا والمجر. وفيها تعد ألمانيا إيطاليا بمساعدتها إذا حاولت فرنسا أن تعد احتلالها أو حمايتها أو سيادتها على طرابلس أو — المغرب. كذلك تعد ألمانيا بأن تهرع إلى نجدها — إن هي تحركت بعدئذ في شمال افريقية أو حتى إذا هاجمت فرنسا في أوروبا وفضلا عن ذلك فالألمانيا تعد إيطاليا بأن تحصل لها على ضمانات إقليمية لسلامة حدودها وكرها البحري وكانت تقصد بذلك كورسيكا وتونس ونيس (٢) وبذلك لم يعد التحالف الثلاثي مجرد عصابة من أجل السلام — كما كان يحلو لبسمرك أن يصفه — وصار بعيدا كل البعد عن وعود بسمرك المتكررة بتعضيد فرنسا في كل مكان ماعدا الأتراك والورين وأهداف إيطاليا في علاقتها بالنمسا تتضح أيضاً عند تجديد الحلف الثلاثي في اتفاقية منفصلة وملحقة بالحلف الثلاثي تتفق الدولتان على أنهما إذا وجدتا ضرورة

Bruce. p. 196.

Taylor p. 312.

(١)

(٢)

لاتخاذ خطوات لتغيير الحالة الراهنة في البلقان أو الادرياتي والأيجي، فليهما أن تتفقا مسبقاً بالنسبة للخطوات التي عليهما اتباعاً . وكذلك ينص الاتفاق في هذه الحالة — على أن تنال كل منهما تعويضاً عن أى كسب تحصل عليه الأخرى : . وهذه الفقرة قد احتواها التجديد للحلف الثلاثي في أعوام ١٨٩١، ١٩٠٢، ١٩١٢، ونلاحظ أن إيطاليا تنحلي عن الحلف الثلاثي في سنة ١٩١٥ بحجة أن هجوم النمسا على الصرب هو خرق لهذا الاتفاق .

وهكذا ينجي فبراير ١٨٨٧ كان سولسبرى قد حصل أخيراً على ما كان يسمى للحصول عليه منذ صيف سنة ١٨٨٦ : اتفاقية ربطت بين دول الوسط بهدف الدفاع عن الحالة الراهنة في الشرق ، ولاسيما وأن موافقة النمسا عليها (مارس ١٨٨٧) قد زادت من قيمتها .

وكانت الأسباب الرئيسة لامتناع كالنوكي Kalnoke عن ذلك في موقف برلين من ناحية ، وما كان يراه من عدم الاعتماد على السياسة البريطانية التي كانت متأثرة بنفوذ تشرشل من ناحية أخرى ولكن الآن — فقد ذهب تشرشل — ومنذ ١٦ فبراير قد بدأت برلين تتمجله الانضمام إلى التكتل البريطاني — الإيطالية وبذلك لم يعد هناك ما يمنع من فتح باب المفاوضات مع بريطانيا في ٢٣ فبراير بقصد الوصول إلى اتفاق على غرار ذلك الذي عقدته بريطانيا مع إيطاليا . (٢)

وبالنسبة لانجلترا فإنه إذا كان اتفاقها مع إيطاليا (فبراير) ثم اتفاق إيطاليا مع ألمانيا في الأسابيع التالية قد ضمنا الحالة الراهنة في البحر المتوسط ضد فرنسا فإن الخطر من جانب روسيا قد أغفلته هذه الاتفاقات . ولم يكن ذلك التجاهل بالطبع

Bruce, pp. 196—197.

(١)

Lowe, p. 17.

(٢)

الأمر الذى يسر النمسا . وهنا كان سولسبرى أيضا مستعدا لإرضاء النمسا .
فسمى إلى ذلك الأمر وهو يرى أن الوزارة البريطانية وقد انزلت إلى اتفاقية -
فلن تعارض في عقد أخرى (١) .

وقد كان كالنوكى - كما كان رويلان - يفضل تحالفا قويا صلبا لا يربط الحكومة
البريطانية الحالية فحسب ، بل الحكومات البريطانية القادمة أيضا . ولكن سولسبرى
رأى أن عقد معاهدة Treaty غير مأمون المواقف بالنسبة لمركزه البرلمان ...
وجهد سولسبرى كثيرا ليقنع كالنوكى بأن اتفاقا سياسيا له قيمته على أن تترك القرارات
المسكينة فيما بعد حسبما تملى الظروف والأحداث (٢) .

وقد كان لسولسبرى ما أراد . وهكذا يجرى اتفاق بريطانيا مع النمسا (٢٤ مارس
١٨٨٧) وفي المذكرات المتبادلة بين الحكومتين البريطانية والنمساوية تذكر الحالة
الراهنة وطى الأخص في البحرين الإيجي والأسود ولكنها لم تحتو على إشارة محددة
للبلقان وهو ما كان كالنوكى يصبر عليه في أول الأمر . وهذه المذكرات - مثل
مثيلاتها المتبادلة مع إيطاليا - تسكمت فقط عن تعاون دبلوماسى ، ولم يكن هناك أى
وعود أو ارتباط من جانب بريطانيا بشئ (٣) . وبذلك يكون سولسبرى قد ربط
انجلترا إلى تفاهم سياسى عام مع إيطاليا والنمسا في البحر المتوسط تاركا أمر الترتيبات ..
التفصيلية بشأن التعاون بين الدول الثلاث تحددها الظروف والضرورة (٤) .

Taylor, p. 312.

(١)

Taylor, p. 313.

(٢)

Lowe, p. 17.

(٣)

Lowe, p. 18.

(٤)

والاتفاق الأنجليزى - النمساوى قد جاء بمزايا بالنسبة للنمسا . فقد حصلت النمسا على ما سبق أن رفضه روييلان - وزير الخارجية الإيطالية - عند تحديد الحلف الثلاثى ، وهو التعضيد الإيطالى فى الشرق . وبذلك يرجع لأنجلترا الفصل فى ازدواج تماسك التحالف الثلاثى ، فكانونكى - فى أول الأمر - لم يول هذ - الاتفاقات اهتماماً يذكر (١) .

وهكذا تكون اتفاقات فبراير ومارس ١٨٨٧ قد خلقت وفاقاً ثلاثياً يحمى مصالح بريطانيا فى مصر ومصالح إيطاليا فى طرابلس ومصالح الجميع فى القسطنطينية ونلاحظ أنه رغم أن فرنسا لم تسكن تعلم شيئاً عن أية اتفاقية مكتوبة تدور حول البحر المتوسط وكذلك كان الروس ، إلا أن هذه الحقيقة عن التعاون الدبلوماسى الذى اشتملت عليه هذه الاتفاقات كانت واضحة للجميع (٢) .

وقد يكون هدف سولسبرى من هذه الاتفاقات هو ضمان تأييد دول وسط أوروبا الدبلوماسى فى المسألة المصرية ، ولكنه على أية حال قد برز هذه الاتفاقات للملكة فكتوريا بأنها أحسن طريقة لدرء خطر عصبة من دول القارة الأوربية قد تسعى إلى تقسيم الإمبراطورية البريطانية (٣) .

والاتفاقات فى حد ذاتها نصر كبير للدبلوماسية البريطانية . فقد حصل الأنجليز على تأييد دبلوماسى لهم دون وعد صريح بعمل قد يعقب ذلك التأييد وبذلك ضمن الأنجليز أغلبية صامدة فى وجه الفرنسيين فى مصر (٤) .

-
- | | |
|---------------|-----|
| Ibid. | (١) |
| Ibid. 314. | (٢) |
| Ibid. p. 313. | (٣) |
| Ibid. | (٤) |

كانت الخطوة التالية لسولسبرى - بعد عقد اتفاقه مع النمسا (مارس ١٨٨٧) ،
هى انتهاز فرصة هذا الموقف - غياب تشرشل من ناحية ، وتعزيد بسمرك من ناحية
أخرى - وأحياء فكرة المفاوضات بخصوص الانسحاب من مصر (١) ..

وبعد تسعة شهور اتخذت الأمور شكلها النهائي بمقتضى اتفاقية البحر المتوسط الثانية
(١٢ ديسمبر ١٨٨٧) : وهى اتفاقية لا يحمل اسمها سوى النذر اليسير من الملقى لأنها
لا تحتوى إلا للقليل عن البحر المتوسط . وإنما هى قد جاءت على أية حال نتيجة
للإزمة البلغارية وببول كل من كرسى وكالنوكى ..

فى ٧ يوليو (١٨٨٧) انتخب المجلس البلغارى فرديناند Ferdinand
Coburg أميراً متحدياً بذلك رغبات الروس ، وبدأ التدخل الروسى وشيك
الوقوع . وتكرر موقف الحريف الأسبق : كل من بسمرك وسولسبرى يرغب
فى أن يكل إلى الآخر أمر تعزيد النمسا والمجر . وفى ١٤ أغسطس قابل سولسبرى هاتزفيلد
Harjzfeldt فى لندن ويبدأ سلسلة من المناقشات حول الأمور المالية . وبدأ
الأمر طبعاً . فسولسبرى يصر على أنه من غير الممكن إنقاذ الإمبراطورية العثمانية
وأن إنجلترا سوف تضطر إلى اقتسامها مع روسيا ، ما لم تعضدها ألمانيا . ولكن
بسمرك لم يندفع ، وسرعان ما أرسل إلى سفيره فى لندن - بعد أقل من أسبوع (٢) -
بأن من دواعى سروره أن يعمل على تشجيع تقايم روسى - إنجليزى . وحينئذ
راجع سولسبرى وأجاب بأنه لا يستطيع أن يخذل إيطاليا ويهجرها وأن اتفاقية إنجليزية
روسية على أية حال ، أمر مستحيل وهذا هو الأمر الوحيد فى المسألة الذى كان
بسمرك يعمل على تحقيقه (٣) .

Lowe, p. 18.

(١)

(٢) فى ٨ أغسطس ١٨٨٧ . انظر : Taylor, p. 319

(٣) نفس المرجع ص ٣١٩ .

وجاء دور سفراء الدول الثلاث المتحالفة (ألمانيا — النمسا والمجر — إيطاليا) في القسطنطينية . فبدأ في التشاور حول موقف تركيا في الأزمة ، وأنها سوف تسلم للروسيا عند أول تهديد روسي لها . وتسلك السفراء الثلاثة عن فكرة إعطاء تركيا قوة للمقاومة على الأقل قوة أديية . وتبينت إيطاليا هذا الاقتراح بحماس . فكريسي — وقد صار — رئيساً للوزراء منذ يوليو ١٨٨٧ — كان يعلم تماماً مدى ضعف بلاده وتفككها ، وأعتقد أن علاج ذلك يكمن في دفع إيطاليا إلى النشاط . لذلك كان كرسبي ينتهز أى فرصة لإظهار بلاده بمظهر الدولة العظمى ، ويعمل على كسب تأييد بريطانيا بسياسة الاستعمارية العدوانية عامة وموقف إيطاليا من فرنسا في البحر المتوسط خاصة . ففي إبان وزارة كرسبي الأولى (١٨٨٧ — ١٨٩١) لم ينفل كرسبي قط — بصفته وزيراً للخارجية — مسألة بنزرت التي كان الفرنسيون قد أثاروها منذ عام ١٨٨١ . كذلك فهو لم يفتأ — طوال هذه الفترة — إثارة هذه المسألة لدى الدول الصديقة والمتحالفة وحتى المهتمة منها عند أى بادرة لأى عمل إنشائى في بنزرت مهما كان قافهاً (١) ولكنه يرمى إلى جعلها قاعدة بحرية تهدد أمن وسلام إيطاليا . وكان كرسبي يهتم على وجه الخصوص بجذب إنجلترا للتعاون معه ومع حلفاء إيطاليا في عمل يهدف إلى منع استمرار فرنسا في هذه الإنشاءات فأعمال فرنسا هذه كانت تبدو في نظر كرسبي مخالفة لما سبق وتمهدت به فرنسا حينما فرضت حمايتها على تونس ، كما أنها أيضاً تخل بالتوازن وتهدد الحالة الراهنة بالبحر المتوسط (٢) .

(١) أنظر : crispi, Francesco, « Politica Estera » Tradudction "qustioni Internazionali" (1871—1890) fr. de P. G. Grandcha : p. p. 123.

(٢) والحكومة الإنجليزية بدورها كانت تشارك كرسبي وجهة نظره في مذكرة لها إلى الحكومة الإيطالية في ١٩ يناير ١٨٨٩ تذكر أن بنزرت كانت « أقوى مراكز استراتيجى —

وفي هذا المضمار — العمل على كسب تأييد بريطانيا لإيطاليا — كان كالتوكي يؤيد كرسي ، فـ كالتوكي كان يريد جذب إنجلترا أكثر إلى الشرق الأوسط . وقد رحب سولسبرى بالتفاهم مع النمسا وإيطاليا حول هذا الموضوع ، ولكنه طلب أن تغطي الاتفاقية آسيا الصغرى كما تشمل بلغاريا والمضائق . والوزارة البريطانية لم تسلم أول الأمر برأى سولسبرى بضرورة الاتفاق مع النمسا وإيطاليا ، ولكن موافقة بسمرك الأدبية — كطلب سولسبرى — على ذلك الاتفاق ودون أى وعد بمساعدة عملية أو الارتباط بسياسة معينة ، هذه الموافقة الأدبية كانت بمثابة إرضاء للوزارة البريطانية (١) .

وهكذا توقع اتفاقية البحر المتوسط الثانية (١٢ ديسمبر ١٨٨٧) ، وفيها تتفق الدول الثلاث على المحافظة على الحالة الراهنة في الشرق الأدنى ، كما تتفق بوجه خاص على حرية المضائق والسلطة التركية في آسيا الصغرى ، وسيادتها على بلغاريا . أما إذا اضطرت تركيا إلى مقاومة « أى مشروعات غير قانونية » — ومن المفروض أن تأتي من جانب روسيا بالطبع — فإن الدول الثلاث عليها أن « تصل في الحال إلى الوسائل التي تتخذ » لحمايتها . أما إذا تجاهلت تركيا مثل هذه « المشروعات غير القانونية » . فإن الدول الثلاث « سوف تجد مبرراً » لاحتلال ما تراه ضرورياً من الأراضي التركية حسبما يتفق عليه ، باعتبار أن مثل هذا الأمر شيئاً ضرورياً . ومن

— في البحر المتوسط — وفي لذلك تعاتب بشدة الحكومة الفرنسية وتوجه نظرها إلى التزاماتها في هذا المجال والتي تمهدت بالوفاء بها منذ عام ١٨٨١ . وكذلك فعلت ألمانيا عن طريق سفيرها في باريس . وفي مذكرة أخرى لسولسبرى — رداً على مراسلة من حكومة كرسي بتاريخ ٢٩ يناير ١٨٨٩ — يؤكد سولسبرى أن مسألة بنزرت تهم بريطانيا بقدر لا يقل عن اهتمام إيطاليا بها ، وأنها تراقب الموضوع بكل اهتمام وبقطة — أنظر المرجع السابق ص ١٢٤/١٢٣ Taylor, pp. 320—321. (١)

ذلك نرى أنه إذا كانت اتفاقات البحر المتوسط الأولى تهدف إلى تعاون دبلوماسي ضد فرنسا على وجه الخصوص ، فإن الاتفاقية الثانية كانت تمهد لعمل عسكري محتمل موجه ضد روسيا فقط .

ولكن ارتياح سولسبري بخصوص تلك الاتفاقية لم يستمر كثيراً . فبسمرك قد أخبره بمحتويات المحالفة النمسية الألمانية لعام ١٨٧٩ . بالإضافة إلى ذلك فسولسبري لم يكن ليطمئن على الإطلاق إذا علم بمحتويات الاتفاقية الألمانية — الروسية (١) .
Re-insurance Treaty (١٨٨٧) التي فيها وعد المستشار الألماني روسيا بالحيداء الشيع بالمطف في حالة تقدمها في البلقان والمضائق (٢) . وموافقة بسمرك ومباركته لاتفاقيات البحر المتوسط وعقده لاتفاقه ذلك مع روسيا في نفس الوقت من المسائل الفقدت التي يصعب تفسيرها (٣) .

وسقوط بسمرك (٩ مارس ١٨٩٠) لم يؤثر مباشرة على علاقة دول الوسط بانجلترا فيما يتعلق بالبحر المتوسط . وظلت ألمانيا تشجع زيادة تقارب إنجلترا من دول الوسط ففي ٧ مارس ١٨٩١ كتب مارشال Marschall وزير الخارجية الألمانية يقول « إن صداقة بين إيطاليا وإنجلترا هي شوكة خاصة في عين فرنسا كما أنها أكبر عقبة في وجه المطامع الفرنسية في البحر المتوسط » (٤) .

(١) بدأت مفاوضات هذه الاتفاقية في صيف عام ١٨٨٧ . وهذه هي المحالفة الرابعة المهمة بعد الحلف الألماني — النمسي (١٨٧٩) وحلف الأباطرة الثلاثة (١٨٨١) والتحالف الثلاثي (١٨٨٢) التي تقدمها بسمرك بعد مؤتمر برلين وهذه المحالفة الروسية — الألمانية هي التي الواقع اعتراف من بسمرك بفضله في أمرين إزالة التوتر بين ألمانيا وفرنسا وإزالة بين النمسا وروسيا من ناحية أخرى ، أنظر : Bruce, p. 879.

(٢) Bruce, pp. 198—199.

(٣) أنظر : Herzfeld, Hans, Die Moderne Welt, I Teil, P. 238.

(٤) Eermau Diplomatic Documents Vol. II P.55.

وبذلك جبهتهم ألمانيا في تقريب إنجلترا من إيطاليا بريطلم أقوى من ذلك الذي تم في عام ١٨٨٧ . فالتفقيات البحر المتوسط (ملزموه ديسمبر ١٨٨٧) لم ترفيقها ألمانيا قرارات حول البحر المتوسط بالمعنى الضيق ، إنما كانت كلها تتعلق بالمشكلة الشرقية . وكانت ألمانيا تعلم أن : اتجاها السياسة الإيطالية هو ضمان مصالح إيطاليا في البحر المتوسط قدر الامكان بواسطة اتفاقيات مناسبة تحايل إيطاليا أن تخفي هذا الاتجاه في إبان المباحثات مع ألمانيا بشأن تجديد الحلف الثلاثي . وإيطاليا بدورها كانت تعتقد بأن اتفاقها السري مع إنجلترا غير كاف لحماية مصالحها كما أنه فشل في الاعتراف بأهمية إيطاليا بالنسبة للسياسة البريطانية (١) . لذلك تظهر اقتراحات ألمانية ترى إلى دخول إنجلترا في اتفاق لمراعاة الحالة الراهنة في كل حوض البحر المتوسط . ورغم أن سولسبري كان ينفي الاستمرار في تقارب أشد مع إيطاليا ومع الحلف الثلاثي وبالتالي ، فالهولتان لم تصلا — في هذا المجال — إلى اتفاق محدد (٢) .

ورغم سياسة سولسبري المتميزة بالصدقة الواضحة مع الحلف الثلاثي فهو استمرت بعد سقوط سولسبري وجمي روزيري وزير الخارجية (١٨٩٢) إلا أن هذه العلاقة الوطيدة لا تليث أن تنهار في عام ١٨٩٦ — إبان وزارة سولسبري نفسه الثالثة . فحينما تولى روزيري وزارة الخارجية (١٨٩٢) أخبر سيمورا دول الحلف الثلاثي بأنه يعتزم الاستمرار في سياسة سولسبري ، وأبدى السفراء ارتياحهم الودي إزاء هذه المبادرة الطيبة منه . وهكذا استمرت الوزارة في اتباع سياسة الصداقة

(٢) هكذا أخبر Tornielli السفير الإيطالي في لندن زميله الألماني Hatzfeldt هارتفيلد إلى الخارجية الألمانية ٢٦ مارس ١٧٩١ — سري —
Germ Dip II.P.94.

(٢) ملحوظة بالمرجع السابق ص ٩٤ ، انظر أيضا الفصل الخامس بإيطاليا والبحر المتوسط ، نفس المرجع ص ٩٥ — ١٠٧

الواضحة مع الحلف الثلاثي ، ولكن دون ارتباط أو وعد أو اتفاق محدد المعالم .
وهذه كانت سياسة — كما كان يقول لورد — جرای — يمكن التخلص منها في
أى لحظة (١) . ومع ذلك فهذه العلاقة كثيراً ما كانت تثير الرأى العام الفرنسى
ولا سيما في أوقات الاحتكاك بين البلدين فتسكلم الصحافة الفرنسية عن الحلف الثلاثي
ناعته إياه بالحلف الرابعى (٢) .

وفي عام ١٨٩٦ تنهار هذه العلاقة بين إنجلترا ودول الوسط ، وهى علاقة كما
رأينا قد نمت وقويت بعباية منذ عام ١٨٨٧ ، وتحل محلها هذه السياسة المشهورة
عن البريطانيين : العزلة الرائعة splendid Isolation ودواعى هذا التنفير
مقدمة في الغالب بعكس ما تبدو به لأول وهلة . . . هناك ما يتعلق بالوزارة
البريطانية بالمعارضة بالنسبة لآراء سولسبرى صارت أقوى كثيراً بعد عام ١٨٩٥ . بالإضافة
إلى ذلك فقد حدث تغير في التفكير بشكل عام وبدأ هناك واضح في لندن بتصنع
الحلف الثلاثي . في نفس الوقت ، صارت برلين مقتنعة — بحجىء عام ١٨٩٦ —
بأن المفاوضات مع إنجلترا كانت بمثابة مضية للوقت . كذلك كان لاتباع ألمانيا
لسياستها الاستعمارية Kolonialpolitik أثره في إبعاد المسئولين والرأى العام
في بريطانيا عن ألمانيا (٣) . وكان ذلك في الواقع ، يعنى انهيار اتفاقات البحر
المتوسط .

وفيما عدا اتفاقات البحر المتوسط هذه ، بقيت بريطانيا بوجه عام بعيدة عن

Grey, Twenty-Five Years vol. I.P.47. (١)

Ibid. pp. 47-48. (٢)

Lowe, pp. 91 - 94. انظر (٣)

المحالفات الأوروبية . وقد ارتفعت أصوات في بريطانيا في عام ١٨٩٨ تنادى بنيل سياسة المزة هذه (١) .

ولكن عقد بريطانيا لاتفاقيتها مع فرنسا (٣١ مارس ١٨٩٩) كانت نظراً لسياسة « المزة » بالنسبة لبريطانيا (٢) . فالانجليز قد اطمأنوا — بمقد هذه الاتفاقية على مركزهم في مصر ، ولم تعد بريطانيا ، ومن جهة النظر العسكرية ، في حاجة إلى تمضيد الدول الأخرى لها في مصر . وبهذا انتهت فاشودة في الواقع ما تبقى من وفاق البحر المتوسط .

Eubauk Keith Paul Cambon — Master (١)
Diplomatist, p.64.

Taylor, p. 382. (٢)

THE UNIVERSITY OF CHICAGO
LIBRARY

1963-1964

ثبت الاعلام

أدسلى Iddesleigh وزير الخارجية الإنجليزية في وزارة سولسبرى الثانية .
خلفه سولسبرى في وزارة الخارجية في يناير ١٨٨٧ .

بسمارك Bismarck مستشار الرايخ الألماني (١٨٧١ - ١٨٩٠) .

بولانجه Boulanger, Georges-Ernest وزير الحروب في وزارة
فريسييه وجوبليه « يناير ١٨٨٦ - مايو ١٨٨٧ » .

بيكونزفيلد (Benjamin Disraeli) Beaconsfield رئيس القمل
للوزارة البريطانية « ١٨٥٢ » . رئيس الوزراء « ١٨٧٤ - ١٨٨٠ » . حصل
على لقب كونت بيكونزفيلد عام ١٨٧٦ .

تشرشل Randolph Churchill وزير مالية بريطانيا في وزارة سولسبرى
الثانية « تسكونت في أغسطس ١٨٨٦ » . استقال في يناير ١٨٨٧ .

تورنيالى Torielli. السفير الإيطالى فى لندن .

تايلور Taylor, P.O.J. مؤرخ بريطانى معاصر . عمل محاضرا فى الجامعات
البريطانية . كتبهم للصحافة واشتغل مطلقا على الاحداث بالاذاعة البريطانية . له مجموعة
من الأعمال الجيدة فى التاريخ الدولى .

روبرت موريه Robert Morier سفير بريطانيا فى بطرسبرج .

رويلان Robilant, Generaldi وزير خارجية إيطاليا « أكتوبر
١٨٨٥ - أبريل ١٨٨٧ » .

سولسبرى Salisbury رئيس وزارة بريطانيا ١٨٨٥ - ١٨٨٦ ، ١٨٨٦ -
١٨٩٢ ، ١٨٩٥ - ١٩٠٢ .

فريناند Ferdinand of Coburg أمير بلناريا المنتخب « ١٨٨٧ » .

فرى Ferry, Jules رئيس الوزارة الفرنسية ١٨٨٠-١٨٨١-١٨٨٣ .
١٨٨٥ . كذلك تولى الخارجية منذ ١٨٨٣ .

فلوران Flourins وزير الخارجية الفرنسية ١٨٨٧ - ١٨٨٨

كالنوكى Kalnoky, Gustave وزير خارجية النمسا والمجر « ١٨٨١ -

١٨٩٥ »

كرسى Francesco Crispi رئيس الوزارة الإيطالية « يوليو ١٨٨٧

— يناير ١٨٩١ »

كورتى Corti السفير الإيطالى فى لندن

لافولاى Lavoulay السفير الفرنسى فى بطرسبرج .

لاو Lowe, Cederic Jq : es محاضر فى التاريخ الدولى فى جامعة لندن

(L. S. E.)

لوملى Lumley السفير البريطانى فى بروما .

لوناى Launay السفير الإيطالى فى برلين .

ليارد Layard السفير البريطانى فى القسطنطينية .

ليونز Lyons السفير البريطانى فى باريس .

مارشال Marschall وزير خارجية ألمانيا « ١٨٩١ - ١٨٩٧ »

مالت Malet السفير البريطانى فى برلين .

مانشى Mancini وزير خارجية إيطاليا « ١٨٨١ - ١٨٨٥ »

هازفيلد Hatzfeldt السفير الألمانى فى لندن .

هربيت Herbette السفير الفرنسى فى برلين .

هوايت William white السفير البريطانى فى القسطنطينية .

وادنجتون Waddington السفير الفرنسى فى لندن .

مراجع البحث

أولا : باللغات الأوربية :

- Bruce, Maurice, the Shaping of the Modern, vol. I. London 1959.
- CRISPI, ERANCESCO, " Politica Estera " (187—1890)"
" Questioni Internazionali " Traduction
Fr. de Grandcha : p. Tunis 1913,
- Documents diplomatiouEs Francais, 1 ere. S.m
T. VI.
- ENSOR X.C.K., Englaud 1870—1914. Oxford 1949.
- EUBANK, REITH. Paul Cambon—Master Diplo-
matistt, Oklahoma, 1960.
- GERMAN DIPLOMATIC DOCUMENTS, 1871-1914,
Vol II, selected and tranlated by E.T.S. Dugdale,
Lendon 1929,
- GREY OF FALLODON Twenty Five Years, Vol. I.
London 1935.
- Herwfeld, HANS, Die Moberne Welt, I. Teil, 1957.
- LOZE. C.J.M Salisbury and The Mediterranean
1886-1896, London, 1940.
- MARDER, British Naval Policy 1880-1905, Mass.
U.S.A. 1940.
- MedlicOTT, W.N., The congress Of Berlin And
After (1878-1880) 1938.
- TAYLOR, A. J. P., The struggle For Mastery In
Europe (1848-1914) Oxford 1954.
- WILSON, Beckles, L'A : bassade d'Augleterre A
Paris (1814-1920), Paris 1929.

ثانيا : باللغة العربية :

— حسنى صبحى : التنافس الاستعماري الأوربي في المغرب (١٩٠٤ — ٨٨٤)

دار المعارف ، الإسكندرية ١٩٦٥ .

— محمد مصطفى صفوت : الاحتلال الإنجليزي لمصر وموقف الدول

الكبرى ، إزماع .

القاهرة ١٩٥٢ .

— محمد مصطفى صفوت : إنجلترا وقناة السويس (١٩٥٦ — ٨٥٤) .